ISSN 1412-226x

في هذا العدد

- ظاهرة الليبرالية الدينية
- الوحدة المعرفية والعقلانية والتسامح في الحضارة الإسلامية
- موقف الإسلام من العلم التجريبي والتكنولوجيا المعاصرة
- قراءة في إشكاليات اللغة العربية عند عائشة عبد الرحمن (بنت شاطئ)
- حديث سحر النبي ﷺ : إشكال وحلول
- صور اجتهاد الرسول ﷺ ومنهجه

السنة العاشرة العدد 1 ☙ 1432هـ/2011م

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

الزهراء

نصف سنوية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

A refereed academic twice yearly, published by Faculty of Islamic and Arabic Studies,
the State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta,
and concerned with Islamic and Arabic research and studies

Volume 10, No 1, 1432 H/2011 M السنة العاشرة، العدد 1، 1432هـ/2011م

رئيس التحرير
حمكا حسن

سكرتير التحرير
غلمان الوسط

منفذو التحرير
عفة الأمنية إمام سوجوكو يولي ياسين أحمدي عثمان

هيئة التحرير
عثمان شهاب ويلي أوكتافيانو عرفان مسعود

التوزيع والتسويق
إيدا فريدة

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير:
Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

العنوان الإلكتروني:
fdiazhar_uinjkt@yahoo.com

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:
www.fdi.uinjkt.ac.id

المحتوى

﴿ حديث الزهراء

ظاهرة الليبرالية الدينية
نور فائزين محيط..... 5

﴿ البحوث والدراسات

الوحدة المعرفية والعقلانية والتسامح في الحضارة الإسلامية
عباس منصور تمام..... 14

موقف الإسلام من العلم التجريبي والتكنولوجيا المعاصرة
محمد علي عبد العظيم..... 42

قراءة في إشكاليات اللغة العربية عند عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
أحمدي عثمان..... 63

حديث سحر النبي ﷺ: إشكال وحلول
زهر الفتى صالحين..... 83

صور اجتهاد الرسول ﷺ ومنهجه
محمد ويدوس سيمبو..... 100

حديث سحر النبي ﷺ: إشكال وحلول

زهر الفتى صالحين
Program Studi Tafsir-Hadis, Jurusan Ushuluddin, Sekolah Tinggi Agama Islam Negeri (STAIN) Ponorogo, Jl. Pramuka No. 156 Ponorogo, Jawa Timur, Indonesia

Abstract

The research analyzes hadis of Prophet Muhammad bewitched. It tries to study about its *sanad*, and mentions its problems according to the some opponents, and then tries to discuss their opinions in order to find the correct opinion. The researcher starts the discussion by mentioning the hadis and narration, followed by analysis the problem of the hadis, after that he discusses the opponents views, through three points: argument of *khabar ahad* in law and *aqidah* (faith), the hadis doesn't hurt the prophetic and does not abolish the infallibility (*'Ismah*), and no justification for opinion of polytheists. The researcher refers to the Quranic text and propethic hadis, opinion of Muslims scholars both classical and contemporary, and refers to the classical and modern books. The research is based on effort of *tahqiq* and *takhrij* of hadis mentioned in the research, also explaining biography of all *rawi*.

Key Word: سحر (black magic), الحديث (*hadis*, the Prophet tradition)

إن الحديث عن السحر يكاد لا يستطيع أن ينفك عن اليهود أي بني إسرائيل، وهم منذ أحقاب بعيدة حتى يومنا الآن أكثر الناس استخداما للسحر بهدف الإغرار لغيرهم أو الإضرار بغيرهم حتى مع أنبيائهم، ومن ثم زود الله تعالى أنبياءه –وعلى رأسهم موسى عليه السلام– بمعجزة تعجزهم عن التغلب عليها، ولكن بنو إسرائيل هم بنو إسرائيل الذين أعمتهم أهواؤهم عن النظر إلى الحق الذي جاء به كل الأنبياء، وهم كما قال الله عز وجل: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: 70]. وإذا كان ذلك حالهم مع أنبيائهم الذين من بني جنسهم، فدع عنك عن موقفهم وعداوتهم للنبي ﷺ، فقد كانوا أشد الناس مواجهة لدعوة النبي إبان قدومه المدينة، وكادوا لها كيدا موصولا، وقاوموها مقاومة خفية وظاهرة.

ومن دسائس اليهود وكيدهم للدعوة الإسلامية سحرهم للنبي ﷺ كي يحول دون مواصلة الدعوة، لكن الحديث عن سحر اليهود للنبي – بالرغم من وروده في الصحيحين– لم يكن موضع اتفاق بين العلماء، منهم مثبتون ومنهم منكرون –كما سيأتي. يحاول هذا البحث إلقاء الضوء على الحديث من حيث دراسة سنده، ووجه إشكاله عند بعض منكريه عبر العصور ثم مناقشة آراء هؤلاء بغية الوصول إلى القول الراجح في هذه المسألة.

نص الحديث وتخريجه

1. رواية عائشة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أنه كان يفعل الشيء وما فعله –وفي رواية: حتى يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن– حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فقال: مَطْبُوبٌ،[1] قال: مَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قال: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[2] وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ، قال: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ[3]. فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فقال: يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قال: قَدْ عَافَانِي اللَّهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَت.

تخريج الحديث: رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر وقوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: 102] –بهذا اللفظ[4]، وباب السحر[5]، وباب هل يستخرج السحر[6]، وفي كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده[7]، وفي كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء[8]. ورواه مسلم في كتاب السلام باب السحر[9]، كلها بألفاظ متقاربة حيث التقى إسناد كل هذه الروايات في هشام عن أبيه عن عائشة. وقد أخرجه غير الشيخين من طريق عائشة بألفاظ متقاربة، ولكني اكتفيت بما في الصحيحين.

2. رواية زيد بن أرقم

عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أياما، قال: فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: إن رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها فبعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله ﷺ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فما ذكر لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات.

تخريج الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده[10]، والنسائي في سننه في كتاب تحريم الدم باب سحرة أهل الكتاب[11]، والطبراني في المعجم الكبير[12]، حيث التقى سند كل منهم في أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم. قال الهيثمي: رواه النسائي باختصار، ورواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح[13].

3. رواية عمر بن الحكم:[14]

روى ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني أبو مروان عن إسحاق بن عبد الله عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم اليهودي وكان حليفا في بني زريق، وكان ساحرا قد علمت ذلك زفر أنه أعلمهم بالسحر

وبالسموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحر منا وقد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئا، وأنت ترى رجاء فينا وخلافه ديننا ومن قتل منا وأجلى، ونحن نجعل لك على ذلك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله ﷺ فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عقدا وتفل فيه تفلا وجعله في جب طلعة ذكر، ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر فوجد رسول الله ﷺ أمرا أنكره حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وأنكر بصره حتى دله الله عليه فدعا جبير بن إياس الزرقي، وقد شهد بدرا، فدله على موضع في بئر ذروان تحت أرعوفة البئر فخرج جبير حتى استخرجه[15].

قلت: وفي إسناده إسحاق بن عبد الله أبو يعقوب، قال عنه الأزدي: "ذاهب الحديث"[16]، وقال عنه ابن معين: "كذاب"[17]. والحديث –بهذا الإسناد– لا يمكن ترقيته لضعفه الشديد. ولعل الذي أنكر حديث السحر –كما سيأتي– وقوفه على هذا السند فقط دون غيره. يقول ابن كثير بعد سرده بعض الروايات لحديث سحر النبي ﷺ: "هكذا أورده بلا إسناد فيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم"[18].

ففي رواية عائشة (الرواية الأولى) نرى أن الرسول ﷺ جاء إلى البئر في أناس من أصحابه، ومن بين هؤلاء علي بن أبي طالب كما في رواية زيد بن أرقم، كما أن في رواية عائشة ما يفيد بأن النبي ﷺ ما أخرج العقد الذي فيه المشط والمشاطة بل أمره بدفنه، بينما تقول رواية زيد بن أرقم (الرواية الثانية) بأن النبي ﷺ أمر علي بن أبي طالب أن يستخرج ذلك العقد ثم حلله، فيمكن الجمع بين الروايتين بأن النبي ﷺ أمر علي بن أبي طالب أن يستخرج ذلك العقد ثم أمره بدفنه لكن أمام نفر قليل من أصحابه دون أن تعرف ذلك عائشة، مما جعل هذه القصة غير مشهورة إلا عند عدد قليل من الصحابة، وبالتالي تعد هذه القصة من قبيل الآحاد.

تلك أهم روايات الحديث[19]، وما روي في الصحيحين لا يحتاج إلى إثبات صحته، فالحديث ثابت عند أهل العلم، متلقى عندهم بالقبول، إذ اتفقت الأمة على صحة وقبول ما أخرجه الشيخان.

إشكالية الحديث

إن قصة السحر هذه اعترضه كثير ممن لا يشمون رائحة علم الحديث، ولعل مرد انكارهم يعود إلى سلطة التحكيم، فمن جعل العقل حاكما يخضع له النقل (النص) يجد ظلاما في فهم الحديث، فمن جعل النقل شعاعا يضيء لعقله القاصر فقد استنار واهتدى. وإليك آراء المنكرين لهذا الحديث على مر العصور:

1. أبو بكر الأصم المعتزلي (225 هـ):

قال أبو بكر الأصم –كما نقله الإمام النووي في المجموع: "إن حديث سحره ﷺ المروى

هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن الكريم حيث كذبهم الله فيه، ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: 67]، وقال تعالى أيضا: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 69]، ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرورة جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، ولكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز"[20].

2. الجصاص (370هـ):

قال الجصاص: "زعموا أن النبي سحر وأن السحر ... وفي مثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو واستجرارا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها، وأن جميعه من نوع واحد، والعجب ممن يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام وإثبات معجزاتهم وبين التصديق بمثل هذا من فعل السحرة مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 79][21].

3. الشيخ محمد عبده (1323هـ):

قال الشيخ: "وأما الحديث –أي حديث سحر النبي ﷺ، فعلى فرض صحته، هو حديث آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن، والمظنون على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم عليه حجة، وعلى أي حال فلنا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل"[22].

4. جمال الدين القاسمي (1332هـ):

قال القاسمي: "ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر، لما برهن عليه، وإن كان مخرجا في الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالما من النقد سندا ومعنى كما يعرفه الراسخون"[23].

5. سيد قطب (1387هـ):

قال رحمه الله: "وقد وردت روايات بعضها صحيح ولكنه غير متواتر، أن لبيب بن الأعصم اليهود سحر النبي ﷺ في المدينة قيل أياما، وقيل أشهرا .. ولكن هذه الروايات تخالف أصل النبوة في الفعل والتبليغ، ولا تستقيم مع الاعتقاد بأن كل فعل من أفعال النبي وكل قول

من أقواله سنة وشريعة، كما أنها تصطدم بنفي القرآن الكريم عن الرسول ﷺ أنه مسحور، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدعونه من هذا الإفك. ومن ثم تستبعد هذه الروايات ... وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن الكريم. والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد، وهذه الروايات ليسب من التواتر"[24].

ويمكننا أن نلخص آراء المنكرين لهذا الحديث في النقاط التالية:

1- أن الحديث آحادي، فلا يؤخذ به في العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ولا يكتفي بالظن، بل ذهب أحدهم –وهو الجصاص– إلى القول لأن الحديث من وضع الملحدين.

2- أن التصديق بهذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة، والله تعالى قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: 67]، كما قال تعالى أيضا: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 69]، وأنه لو جاز على النبي ﷺ أن يتخيل أنه يفعل الشيء وما فعله لجاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا ينـزل عليه ولم ينـزل عليه.

3- أن الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول ﷺ بأنه مسحور، قال تعالى: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الإسراء: 47]، وقال تعالى أيضا: ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: 8].

مناقشة المنكرين

نلتمس من آراء المنكرين السابق ذكرها، أن الدافع على إنكارهم –بالرغم من اختلاف حججهم –هو الدفاع عن النبي ضد كل ما يحطه من منـزلة النبوة، ونحن مع تقديرنا لغيرتهم على دينهم لا بد من "وضع النقاط على الحروف" وذلك بقبول هذا الحديث الصحيح وفهمها فهما صحيحا في ضوء الضوابط والمعايير التي وضعها العلماء المتخصصون.

فكما تتلخص أدلة المنكرين في النقاط الثلاثة، فستكون مناقشتنا لتلك الأدلة تتركز – تبعا لذلك– في ثلاث نقاط أيضا، وهي:

1- حجية خبر الآحاد في الأحكام والعقائد.

مما سبق من كلام محمد عبده وسيد قطب أنهما على الرغم من اعترافهما على صحة حديث سحر النبي ﷺ إلا أن الحديث –حسب زعمهما– لا يؤخذ به لأنه من الآحاد، وأحاديث الآحاد لا يحتج بها في مسائل العقيدة، لأن الآحاد لا تفيذ إلا الظن.

ونحن مع تقديرنا للإمام محمد عبده وسيد قطب إلا أننا نرى –ويرى كل باحث منصف– أنه ليس كل ما قالاه حق وحجة، لأن الحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق، وكل بشر عرضة للصواب والخطأ، فالعصمة لله ولرسوله، وعلى الرغم من ذلك لا بد

أن يؤخذ العلم من أهله، فنقول لهما ومن سار على دربهما في عدم هجية الآحاد في مسائل العقيدة، نقول:

خبر الآحاد أو خبر الواحد يراد به الخبر الذي يتنقل بواسطة الرواة إلا أنه لم يبلغ عدد التواتر في طبقة أو أكثر، وهذا النوع شائع جدا في سنة الرسول ﷺ، حيث أن له منـزلته وقدرته بشروط، فإذا كانت منـزلة المتواتر قد جاءت من جهة الكم بمعنى كثرة الرواة في كل طبقة، فإن عظمة الآحاد جاءت من جهة الكيف بمعنى عدالة الرواة وضبطهم. فالسنة قائمة على خبر الآحاد لكن ليس كل من يتكلم يقبل كلامه، وإنما يقبل خبر من جمع بين الدين المتين، والحفظ السليم، ثم يدرس هذا الخبر في ضوء الثوابت من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية[25].

هناك آيات قرآنية كثيرة تدل على حجية خبر الواحد، منها:

– قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: 6]، فمفهوم المخالفة لهذه الآية يقتضي قبول خبر الواحد العادل.

– قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١ ﴾ [القصص: 20–21]

– ما جاء من الآيات في الشهادة على الأموال والأعراض، اكتفى فيها بشهادة اثنين، وهي آحاد، منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [الطلاق: 2]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة: 106].

تلك بعض الآيات القرآنية الدالة على حجية خبر الواحد، فلو لا مخافة الطول لنذكر أكثر. وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية لوجدنا أن العبرة في قبول الرواية هي عدل الراوي وضبطه، فلا يشترط أن يكون على عدد كبير، وإليك بعضا من تلك الأدلة:

– حث النبي ﷺ لمن سمع منه ليبلغ إلى غيره، فلا يشترط النبي أن يكون السامع بل المبلَّغ على عدد التواتر، فعن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال رسول الله ﷺ: نضر الله امرأ سمع منا شيئا كما سمع، فرب مبلَّغ أوعى من سامع[26].

– عن ابن عمر قال: ترءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه[27]. لقد صام المسلمون بأمر رسول الله ﷺ، وكان الأمر النبوي مبنيا على خبر الواحد، مما يدل على حجية خبر الواحد.

– إرسال النبي ﷺ رسله إلى الملوك وبعض الأمصار، ليعلم الناس أفرادا أو جماعة عن الإسلام، فبعث معاذا إلى "الجند" أجود مدن اليمن، وأرسل أبا موسى الأشعري إلى "زبيد"،

وأرسل أبا عبيد إلى "نجران"، وبعث قيس ين عاصم، وأزبرقان بن بدر، وابن نويرة وغيرهم[28].

وإن قيل بأن خبر الآحاد يحتج في الأحكام دون العقائد، نقول: فقد حث الرسول ﷺ – كما في الرواية السابقة– أيا كان من الصحابة أن يبلغ ما سمعه منه إلى من لم يسمعه سواء كان فيما يتعلق في الأحكام أو العقائد أو الآداب أو غيرها، فلا يتصور أن يكتم أحد من الصحابة لما سأله غيره عما سمعه من النبي لمجرد أن الشيء المسؤول يتعلق بالعقائد، كما لا يتصور أن هؤلاء الوفود الذين بعثهم النبي كانوا يعلمون الناس الأحكام دون العقائد، كلا ثم كلا، بل كانوا يعلمون الناس الإسلام كله، عقيدة وشريعة وأدابا وغير ذلك، وهذا يدل على أن خبر الآحاد يعمل به في العقائد والأحكام وكل أبواب الإسلام.

يقول ابن حزم: "ومن جاءه خبر عن رسول الله ﷺ يقر أنه صحيح، وأن الحجة نقوم بمثله، أو قد صحح مثل ذلك الخبر في مكان آخر، ثم ترك مثله في هذا المكان لقياس، لقول فلان وفلان، فقد خالف أمر الله وأمر رسوله واستحق الفتنة والعذاب الأليم"[29].

ولذا لا نجد في سلفنا الصالح من يفرق بين الأحكام والعقائد في قبول خبر الواحد، فهم تلقوا من جملة ما بلغهم عن نبيهم ﷺ أحاديث الصفات والعقائد، ودونوها في مؤلفاتهم، موقنين بصحتها، عالمين يقينا بأن رسول الله ﷺ جاء بها كما جاء بالصلاة والزكاة والتوحيد .. فإن كل من له معرفة بأحوال الرواة وطرق الحديث يتحقق ثبوت هذا النوع من السنة، ويوقن بصدوره عن النبي ﷺ، ولوكانت طرقه آحادا، فإن الذين نقلوه لنا هم جميع أنواع الشريعة، فيلزم من رد بعض أخبارهم وقبول البعض التفريق بين متماثلين، وإلحاق الطعن بالصحابة والسلف، وعدم الثقة بأخبارهم مع ما عرف ورعهم وتثبتهم، وتحريهم للصدق، إلى غير ذلك مما ينافي سوء الظن بهم[30].

وهكذا أجمعت الأمة على قبول خبر الواحد، وظل الأمر ساريا على هذا الدرب حتى جاء متأخرو المعتزلة، فخالفوا هذا الإجماع. يقول ابن حزم: "إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، يجري على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك"[31].

ثم راح هؤلاء يضعون شرط العدد أو التواتر لقبول الرواية، وفي حقيقة الأمر: إنما قصدوا إخراج الأحكام من الدين، وإبطال أدلتها من كلام سيد المرسلين، إنهم علموا أن السنة النبوية مصدر الأحكام الشرعية، وفيها تفصيل ما أجمل في القرآن الكريم، فبدل أن يقول: "لن نعمل بهذه الأحكام"، ذهبوا إلى فكر ماكر، فادعوا أن الخبر لا يقبل إلا إذا جاء من طرق متعددة، تبلغ في كل طبقة عدد التواتر، ومن العجب أنهم لم يتفقوا على هذا العدد، ولا وجدوا له مسندا.

وأما قولهم بأن خبر الواحد يفيد الظن بمعنى الشك، فنقول: إن الظن لا يدل دائما على معنى الشك[32]، وإنما الذي عناه المحدثون عند استخدام لفظ "الظن" هو أقل من العلم اليقين، ولذا أضافوا: إنه إذا اختف بقرينة أفاد العلم، والقرائن عندهم كثيرة، مما يعنى أن أكثر الأحاديث تفيذ العلم بمضمونها، إلا أن المنكرين للسنة يجعلون إفادة العلم حكرا على التواتر، بينما الناس مع المحدثين، يقبلون ما ليس متواترا، ويعبرونه مفيدا للعلم[33].

مما سبق تبين لنا تهافت الدعوى بعدم حجية خبر الواحد، وأن هذه الدعوى ليس إلا بدعة ابتدعها متأخرو المعتزلة ومن سار على دربهم ما أنزل الله بها من سلطان، وبهذه العجالة نظن أننا قد وفينا الحجة في مناقشة الشق الأول من أدلة المنكرين لحديث السحر، فلنواصل رحلتنا لمناقشة باقي الأدلة.

2- الحديث لا يقدح في النبوة ولا ينافي العصمة.

نأتي الآن إلى مناقشة الشق الثاني من أدلة المنكرين، والذي يتمثل في أن سحر اليهود للنبي ﷺ يقدح في النبوة وينافي العصمة. ومن أجل مناقشة هذا الدليل، نقيم أدلتنا على النقاط الآتية:

أ. معنى عصمة النبي ﷺ:

بادئ ذي بدء نود أن نسوق ما قاله ابن قتيبة –الذي يعد أوائل من ألف في مشكل الحديث– حول قصة سحر لبيد الأعصم للنبي ﷺ، يقول رحمه الله: "..وما ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم هذا اليهودي سحر رسول الله ﷺ، وقد قتلت اليهود قبله زكريا بن آذن في جوف شجرة قطعته قطعا بالمناشير.. وقتلت بعده ابنه يحيى.. وقلتت الأنبياء وطبختهم وعذبتهم أنواع العذاب، ولو شاء الله عز وجل لعصمهم منهم، وقد سم رسول الله ﷺ في ذراع شاة مشوية سمته يهودية فلم يزل السم يعاده حتى مات. وقال ﷺ: مازالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان انقطاع أبهري فجعل الله تعالى لليهودية عليه السبيل حتى قتلته، ومن قبل ذلك ما جعل الله لهم السبيل على النبيين، والسحر أيسر من القتل والطبخ والتعذيب"[34].

أراد ابن قتيبة –رحمه الله– إقامة البرهان أن ما فعله لبيد بن الأصم اليهودي من سحر النبي شيء ممكن الوقوع من باب الأولى، لأن ما فعله اليهود قبله بأنبياء الله من القتل والطبخ والتعذيب أشد من السحر، فالتصديق بهذا دون ذاك نوع من الاضطراب، وإن قيل: بأن التصديق بما فعله اليهود بأنبياء الله من القتل والتعذيب جاء بطريق التواتر وهو تصريح القرآن الكريم، فأجيب: القرآن الكريم ذكر مقتل هؤلاء الأنبياء مجملا، وجاء تفصيل ذلك في السنة النبوية، وعلى فرض قبول ما صح مما روي عن قتل هؤلاء الأنبياء، يلزم القبول أيضا ثبت عن قصة سحر النبي، بل قبول هذه القصة من باب الأولى، لأن السحر أخف من القتل، هذا من ناحية، وأن القصة وردت في الصحيحين من ناحية أخرى.

فبمجرد رد الرواية لأنها غير معقولة –حسب اعتقاد المنكرين– ولو استوفت شروط

الصحة أمر لا ينهجه سلف هذه الأمة ومن سار على نهجهم، لأن مثل هذا النوع من الرد إنكار لنص من النصوص الشرعية. فهل معجزات الأنبياء معقولة؟ كلا، بل آمنا كما آمن الصحابة ومن تبعهم أن النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:3-4].

فلنواصل جولتنا في تحليل "هل سحر اليهود للنبي ﷺ حقا يقدح في النبوة وينافي العصمة؟" مما سبق من كلام ابن قتيبة، تبين لنا عقلانية من رد على هذا الحديث، وعلى الرغم من ذلك فلنخاطب عقول هؤلاء المنكرين في زعمهم بأن الحديث يقدح في النبوة وينافي العصمة.

قال الله عز وجل في شأن عصمة النبي ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧ ﴾ [المائدة: 67]. ذكر الإمام الرازي عشرة أقوال في سبب نزول هذه الآية، ثم قال: "اعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمل الآية على أن الله تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلاما مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة على وجه يكون أجنبية عما قبلها وما بعدها". ثم طرح الإمام الرازي سؤالا، وهو: "كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنه عليه الصلاة والسلام شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد يعصمه من القتل، وفيه تنبيه على أنه يجب عليه أن يتحمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام! وثانيهما: أنها نزلت بعد يوم أحد[35].

قلت: والوجه الثاني ضعيف، لأنه ثبت أن النبي ابتلى ببلاء من قبل أعدائه حتى قبل غزوة أحد، مثل ما واجهه النبي أثناء هجرته إلى طائف لما رضخ أهلها رجلي النبي بالحجارة حتى أدموه، وكذلك تآمر قريش على قتل النبي ﷺ ليلة هجرته إلى المدينة، فبذلك ترجح لدينا أن المراد من عصمة النبي هو عصمته من القتل بمعنى أنه يجوز له أن يعتري كما اعترى غيره من الأنبياء –بل البشر– من الأمراض والآلام وغير ذلك مما لا يؤثر خللا في التبليغ، فمن المستحيل أن يأمر الله تعالى رسوله بتبليغ رسالته ثم تركه يتعرض ما يخل مهمته في التبليغ، حاشا لله ثم حاشا لله، ومن ثم لا بد من القول بأن السحر الذي أصابه النبي إنما تسلط على جسده وظواهر جسده لا على تميزه ومعتقدته، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما.

أضف إلى ذلك، بأن ما أصاب الرسول ﷺ من الأمراض هو نوع من البلاء الذي يزيده به الله رفعة في درجاته ونيل كرامته، روى البخاري عن الحارث بن سويد عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا، قال:

أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: أجل ذلك، كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها[36].

فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلى بالشاة المسمومة، وكذلك بالذي رماه فشجه، وابتلى بالذي ألقى على ظهره السلاح وهو ساجد، فلا منافاة بين العصمة والابتلاء، لقد شاء الله تعالى أن يبتلي أنبياءه بشتى الابتلاء ليعلم الناس أنهم بشر مثلهم فلا يرفعونهم إلى مقام الألوهية، وليزداد ثواب الأنبياء وتعظم منازلهم عند الله بما يقاسون في سبيل تبليغ الدين والرسالات. روي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة[37].

ومما ينبغي أن نضع نصب أعيننا – ونحن نتحدث عن السحر وتأثيره– أن السحر لا ينفعل تأثيره أو ضرره إلا بإذن الله، وقد حكى القرآن الكريم قصة نزول الملكين في زمن سليمان عليه السلام ليبينا للناس الفرق بين المعجزة والسحر، وأن ما جاء به سليمان عليه السلام من ملك عظيم هو المعجزة، وأن ما علمه الملكان للناس هو السحر، ولذا قال: ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: 102]، وأن من أضرار السحر التفريق بين المرء وزوجه، ولكن أي نوع من أضرار السحر لا يحصل ولن يحصل إلا بإذن من الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة: 102].

والله سبحانه تعالى عبر عن ضرر السحر في تلك الآية بطريق القصر، مبالغة في نفي أي تأثير للسحر بذاته، وإغراء للناس بتكذيب ما يزعمه السحرة من أن لهم قوى غيبية سوى الأسباب التي ربط الله بها المسببات، وإرشاد لهم إلى حسن الاعتقاد، وسلامة اليقين[38].

من هنا نجزم بأن ما حصل للنبي ﷺ من تأثير السحر –وذلك بإذن من الله– لا يتجاوز كونه بشرا يحصل له ما يحصل لغيره من البشر من مرض وامتحان حيث لا يمكن بحال من الأحوال أن يتعدى هذا التأثير إلى الخلل في تبليغ الرسالة.

ب.السحر أثّر في جسد النبي ﷺ:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: **"قال علماؤنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد"**[39].

من هنا لا ننكر بأن السحر إذا استمر تأثيره على المسحور فإنه قد يؤثر على عقله بعد تأثره على جسده، ولكن الذي حدث للنبي ﷺ هو أن السحر إنما أثر في جسده، ثم زال بعد ذلك عنه بالكلية بسبب اطلاع الله تعالى له على مكان السحر، فأخبر أصحابه بمحله، فوجدوه

في المحل الذي أخبر به، فكان ذلك من أعلام نبوته، فشفى الله رسوله ﷺ من المرض، وباء الساحر بالخزي ولم يفلح، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 69].

فالآية رغم كونها في سياق قصة موسى مع سحرة فرعون، إلا أن العبرة بعموم اللفظ بمعنى أن كل الأنبياء لا يضرهم سحر ما يؤدى إلى الخلل في تبليغ الرسالة.

ومما يؤكد على أن السحر أثر في جسد النبي فقط دون عقله هو قول أخت لبيد بن الأعصم –كما وقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد ونقله ابن حجر في الفتح– إذ قالت: "إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله"[40]، فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح.

كما أنه ليس من باب المصادفة، إذا أمعنّا النظر في متن الحديث مرة أخرى، أن استعمال أحد الملكين –بأمر من الله– كلمة "مطبوب" بدل كلمة "مسحور"، للإشعار بأن ما حدث للنبي ﷺ نوع من المرض الذي يمكن علاجه، حيث يكنى السحر بالطب تفاؤلا بالبرء[41].

قال المهلب –كما نقله ابن حجر في الفتح: "صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين"[42].

قريب من هذا المعنى يقول ابن عاشور: "وقد تمسك جماعة لإثبات تأثير هذا النوع من السحر ... وينبغي التثبت فيه –أي حديث سحر النبي ﷺ– ثم في تأويله، ولا شك أن لبيداً حاول أن يسحر النبي ﷺ. فقد كان اليهود سحرة في المدينة، وأن الله أطلع رسوله على ما فعله لبيد لتكون معجزة للنبي ﷺ في إبطال سحر لبيد وليعلم اليهود أنه نبي لا تلحقه أضرارهم. وكما لم يؤثر سحر السحرة على موسى، كذلك لم يؤثر سحر لبيد على رسول الله ﷺ، وإنما عرض للنبي ﷺ عارض جسدي شفاه الله منه فصادف أن كان مقارناً لما عمله لبيد بن الأعصم من محاولة سحره وكانت رؤيا النبي ﷺ إنباء من الله له بما صنع لبيد"[43].

ج. إمعان النظر في تخيل النبي نتيجة تأثير السحر:

مما سبق بيانه بأن الضرر الذي ناله النبي ﷺ نتيجة السحر هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر. وأما ما يفهمه المنكرون بأن النبي ﷺ كان يخيل إليه أنه أوحى إليه ولم يوح إليه، أو أنه بلغ ما أوحي ولم يبلغ، فهو مردود من عدة نواحي:

– تخيل النبي في أمر من أمور الدنيا:

وفي ذلك قال المازري –كما نقله ابن حجر في الفتح: "وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر بعيد

أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن يطئهن، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة"[44].

وفي نفس المعنى، قال القاضي عياض: "وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخله عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة لها ثم ينجلي عنه كما كان"[45].

- تخيل النبي مثل تخيل موسى أمام سحرة فرعون:

إن ما روي من تخيل النبي ﷺ من خلال مدة ابتلائه بتأثير السحر هو من جنس تخيل موسى عليه السلام أمام سحرة فرعون حيث أنه تخيل في حبال السحرة وعصيهم أنها حيات تسعى، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[طه: 66-67] ومع أن التخيل حدث فعلا وخاف موسى مما رآى، إلا أن ذلك لم يكن مانعا من تلقي الوحي وفهمه وتنفيذه في نفس الوقت، فلو كان السحر يؤثر على مناطق الوحي في الرسل والأنبياء لما استطاع موسى أن يتلقاه ويفهمه في الحال، ذلك واضح من قوله تعالى في نفس الآيات: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ ﴾ [طه: 68-69]. وكذلك الأمر بالنسبة للنبي ﷺ، وعلى الرغم مما أصابه من تأثير السحر، فلا يمنعه من أن يدعو ويدعو -كما هو صريح في رواية عائشة- فاستجاب الله دعاءه، وهذا ما عبره الملهب في قوله السابق بحدوث تخيل لا يستمر.

إذن، فليس من الإنصاف أن يصدق تخيل موسى أمام سحرة فرعون من أن ذلك التخيل لا يقدح في النبوة ولا ينافي العصمة، في حين أنكر المنكرون تخيل النبي ﷺ نتيجة سحر لبيد بن الأعصم اليهود.

- التخيل كناية عن الهم والعزم:

قال عياض: "يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ومقدم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم تقدر على إتيانهن"[46].

ومما يؤيد هذا المعنى ما جاء في الرواية المتقدمة حيث كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، بعد أن ظهر له عجز جسمه أو ضعفه، فثبت بذلك -مرة أخرى- أن السحر أثر في جسمه لا في عقله.

- التخيل من قول عائشة على سبيل المبالغة:

إضافة إلى ما سبق من المراد بتخيل النبي ﷺ، فإنه لا بد من التفريق بين قول عائشة

وقول النبي ﷺ وإذا أمعنا النظر مرة أخرى بدقة، نجد أن التعبير بـ" حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ..." لم يرو في الصحيحين إلا من لفظ عائشة رضي الله عنها، فلم يكن من لفظ النبي، ولم يشعر لفظها هي أيضا أن ذلك التخيل دام عليه مدة، بل ذكرته على سبيل المبالغة بـ"حتى"، فلعل النبي ﷺ ذات يوم استفهم عائشة عن شيء شك هل فعل أم لا؟ فأطلقت عليه أنه صار يخيل إليه أن يفعل الشيء –أي من أمر نكاح النساء– وهو لم يفعله لعقده عنهن، فقالت هي ذلك للناس، لتأملها من مرضه ﷺ، وأما النبي ﷺ فلم يرو عنه إلا الحديث الدال على المرض، بدليل قوله في مراجعة الملكين الكائنين في صفة رجلين: "ما وجع الرجل؟" فقال المجيب منهما: "مطبوب". وقوله بعد ما أخرج المشط والمشاطة وما معهما مما عمل فيه السحر: "قد عافاني الله"ـ وفي رواية: "وشفاني" ففي نفس الحديث التصريح بالوجع والمعافاة منه، فدل على هذا على أنه مجرد مرض، وليس في لفظ النبي ﷺ أنه صار يخيل إليه فعل مالم يفعله، وتعبير عائشة بذلك إنما هو على حسب ما ظهر بها أنه تخيل، ولا يلزم من لفظها أنه شيء دائم عليه[47].

3- لا تصديق لقول المشركين:

أما حجة المنكرين بأن الحديث يصدق المشركين في قولهم: ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: 8] فمردود، لأن المراد من قولهم أنهم أرادوا أن ما يصدر عن النبي ﷺ إنما يصدر عن خيال وجنون في كل ما يقول ويفعل وأن ما جاء به ليس من الوحي، فغرضهم إنكار رسالته ورميه بالجنون، وهذا أمر واضح جلي لكل من تتبع النصوص القرآنية ذات الصلة التي عرضتها.

وقد صان الله تعالى نبيه ﷺ حتى قبل بعثته، من حفظ نسله الشريف، وما ظهر منه من خوارق أيام ولادته وبعدها من إرهاصات مما لا يسع سردها ههنا، وقد شهد أهل زمانه أنه آمن الناس وأعفهم وأصدقهم، ويتحاكموا إليه في الجاهلية قبل الإسلام، ولقبوه بالأمين، وهذا أمر واضح لكل من تتبع السيرة النبوية.

وإذا كان ذلك حال النبي ﷺ قبل نبوته، فمن باب الأولى أن يحصنه الله تعالى من الخلل في تبليغ رسالته. ومن البراهين على شهادة الناس في صدقه هو قولهم: "ما جربنا عليك إلا صدقا"، وذلك لما صعد النبي على الصفا بعد ما أمره الله بالجهر في دعوته.

ولكن الحق الذي جاء به النبي لا يجد صدى من قبل كفار قريش، فوضعوا له العراقيل في طريق دعوة الحق حتى يبتعد الناس عنها، وأذوه هو وأتباعه بألوان من الأذى، واتهموه بأنه ساحر أو مسحور، رغم اعترافهم على بطلان ما اتهموه، روى ابن إسحاق: إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش –وكان ذا سن فيهم– وقد حضر الموسم، فقال: يا معشر إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجتمعوا

فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضا، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم؛ قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه فقالوا: مقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، فقالوا: نقول: شاعر، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر بزجره وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن قوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجناً، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر: فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره[48].

هكذا ما ترك الله رسوله يتعرض للفتن دون تسلية وتأييد من ربه، ولذا نجد في كثير من الآيات القرآنية سلى الله رسوله عند مواجهة الفتن والشدائد ونكران الكفار، يقول تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: 33-34].

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه: يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ فى تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ ﴾ أى: قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم وقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾، أى: هم لا يتهمونك بالكذب فى نفس الأمر، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم، كما قال سفيان الثوري: عن أبى إسحاق عن ناجية عن علي قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك يا محمد، ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. وعن أبى يزيد المدني أن النبى ﷺ لقي أبا جهل فصافحه فقال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصابىء؟ فقال : والله إني لأعلم أنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً؟ وتلا أبو زيد الآية[49].

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ إشارة وبشارة بأن الله سينصر نبيه على القوم الظالمين وعلى مكر الماكرين، ويؤيده بالمعجزات –التي من أكبرها القرآن الكريم– تعجزهم عن الإتيان بمثلها فضلا عن التغلب عليها ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا، يقول عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: 88].

علق الشيخ الشعراوي الآية السابقة بقضية سحر النبي ﷺ قائلا: "أما كونهم –أي اليهود– سحروا رسول الله ﷺ فلا شيء في ذلك، والله تبارك وتعالى تحدى الإنس والجن في القرآن الكريم، ماذا فعل الإنس؟ وماذا فعل الجن، الإنس قاوموا رسول الله ﷺ وآذوه بالعداء للدين، وحاولوا منع الناس من الإيمان، وتآمروا على قتل الرسول ﷺ، وأحبط الله أعمالهم في كب هذا. إذن الإنس فشل، سواء في مجاهرته بالعداء والأذى أو في تبييته في الخفاء، بقي أن يستخدم الإنس قوة أخرى يستعين بها بشرط أن تكون أقوى من الإنس وأكثر قدرة وهي قوة الجن .. فأراد الله عز وجل أن يتحداهم يفشل قوة الجن أيضا .. فدله الحق سبحانه وتعالى على أنهم سحروا، وأرشده الله جل جلاله إلى مكان السحر، وأبلغه عمن قام بسحره، لتعرف الدنيا كلها أنهم لن يقدروا على محمد ﷺ، سواء جاهروه بالعداء أو خافوه هذا العداء وتآمروا عليه لقتله، أو استعانوا بجنس آخر هو الجن، لأن الله تعالى الذي أرسله يكشف له ما يحدث ويبطله الذين يتآمرون، سواء كانوا إنسا أو جنا[50].

خاتمة

إن ما أصابه النبي من تأثير السحر لا يحط النبوة ولا ينافي العصمة، إذ لا يتجاوز تأثير السحر إلى عقله وإنما أثر في جسده، فأراد الله تعالى إقامة الحجة بأن ما جاء به النبي ﷺ هو المعجزة، وذلك لما نصره الله بإنزال الملكين ليخبراه عن الساحر ومكان السحر، فتحقق في غده ما أخبراه، فشفاه الله من المرض. فالنصر في العاقبة دائما للرسل، ولمن كان على قدمهم، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: 51].

الهوامش

1. أي مسحور، كنوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللديغ. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: الطناجي والرازي، القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، 1383هـ/1963م، ج3، ص110. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج4، ص334.
2. هي الشَّعَر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. انظر: نفس المرجع والصفحة.
3. ذروان هو موضع بين قديد والجفحة. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف، د.ت.، ج14، ص281.
4. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ/1987م، ج5، ص2173.
5. المرجع السابق، ج5، ص2176.
6. المرجع السابق،ج5، ص2175.
7. المرجع السابق، ج5، ص1192.
8. المرجع السابق، ج5، ص2347.
9. أبو الحسين القشيري مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء

التراث، د.ت.، ج4، ص1719.

10. أحمد بن حنبل، المسند، القاهرة: مؤسسة قرطوبة، د. ت.، ج4، ص367.
11. أحمد بن شعيب النسائي، المجتبى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2، 1406ه/1986م، ج7، ص117.
12. سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط 2، 1404ه/1983م، ج5، ص180.
13. علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407ه، ج6، ص21.
14. هو عمر بن الحكم بن ثوبان أبو حفص المدني، من التابعين. روى عن سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، وجماعة. توفي سنة سبع عشر ومائة. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 3، 1406ه/1986م، ج8، ص316.
15. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، د.ت.، ج2، ص197.
16. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1995، ج1، ص346.
17. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 3، 1406ه/1986م،ج1، ص346.
18. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، 1401ه، ج1، ص366.
19. والحديث جاء أيضا من طريقين: طريق عبد الله ين عباس رضي الله عنه، وطريق أنس بن مالك رضي الله عنه، والطريقان رواهما ابن مردويه كما ذكره السيوطي في الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن، القاهرة: مركز للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، د.ت.، ج15، ص794.
20. محي الدين النووي، المجموع، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، د.ت.، ج19، ص 234.
21. أحمد بن علي بن أبي بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، بيروت: دار الفكر، د.ت.، ج1، ص49.
22. محمد عبده، تفسير جز عم، بيروت: دار مكتبة الهلال، د.ت.، 1985، ص186.
23. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1418ه/1997م، ج9، ص577.
24. سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط 10، 1402ه/1982م، ج6، ص408.
25. عبد الهادي، عبد المهدي بن عبد القادر، المدخل إلى السنة النبوية، القاهرة: دار الاعتصام، ط 1، 1419ه/1998م، ص283.
26. رواه الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.، باب في الحث على تبليغ السماع. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، ج5، ص33.
27. رواه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، د.ت.، باب شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، ج2، ص302.
28. للوقوف على شيء من التفصيل عن رسل النبي إلى الملك والأمصار، اقرأ –على سبيل المثال– سبل الهدى والرشاد، تحت عنوان: "جماع أبواب رسله ﷺ إلى الملوك وذكر بعض مكاتباته وما وقع ذلك من الآيات. [محمد بن يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1414ه/1993م، ج11، ص344–374.
29. علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1400ه/1980م، ج1، ص102.
30. انظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، أخبار الآحاد في الحديث النبوي؛ حجيتها، مفادها، العمل بها، مكة: دار عالم الفؤاد، ط 2، 1416ه، ص124.

31. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص114.
32. ومما يؤكد ذلك أن "الظن" قد يأتي بمعنى اليقين، وذلك حين يمدح الله تعالى عباده الخاشعين في صلاتهم، بأنهم موقنون بلقائهم بربهم وأنهم إليه راجعون، فيقول تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: 45-46]، الظن هنا بمعنى اليقين أي يوقنون أنهم ملاقو ربهم، وهو مختلف تماما عن "الظن" بمعنى "الشك" الذي في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الجاثية: 31-32]. وإذا فتحنا "لسان العرب" لابن منظور، نجد أنه قال: "الظن شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبر." ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص271.
33. انظر: عبد الهادي، المدخل إلى السنة النبوية، ص289.
34. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت: دار الجيل، 1393هـ/1972م، ج1، ص180.
35. فخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ/2000م، ج1، ص22.
36. رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء، ج5، ص2139.
37. رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج4، ص601. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
38. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، القاهرة: نهضة مصر، ط 1، 1997، ج1، ص299.
39. محمد بن أبي بكر القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة: دار الشعب، ط 2، 1372هـ، ج2، ص36.
40. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 10، ص227.
41. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج3، ص110.
42. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص227.
43. ابن عاشور، محمد طاهر، التحرير والتنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ، ط 1، 1421هـ/2000م، ج1، ص616.
44. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص227.
45. القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت: دار الفكر، ط 1، 1401هـ/1981م، ج2، ص181.
46. المرجع السابق، ج2، ص181.
47. انظر: سعيد المرصفي، حديث السحر في الميزان، د.م.: مكتبة المنار الإسلامية، ط 2، 1416هـ/1995م، ص39.
48. ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص189.
49. انظر: أبو الفداء محمد ين إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص130.
50. محمد متولي الشعراوي، السحر والحسد، القاهرة: أخبار اليوم، د.ت.، ص107-108.

TOWARDS MODERATE ISLAM

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

JOURNAL FOR ISLAMIC AND ARABIC STUDIES

In This Issue

- The Phenomenon of Religious Liberalism
- Unity of Knowledge, Rationality and Tolerance in the Islamic Civilization
- Islam's Position on the Experimental Science and Modern Technology
- A Reading in Arabic Language Problems according to Aishah Abdul Rahman (bint Syathi')
- Hadis of Prophet Muhammad PBUH Bewitched: Problem and Solution
- Forms and Method of Messenger Muhammad PBUH *Ijtihad*

Vol 10 No 1 ▪ 1432 H/2011 M